الْأَدَبُ الْعَرَبِيُّ فِي عَصْرِ الْعَوْلَمَةِ: دِرَاسَاتُ النُّصُوصِ وَدِرَاسَاتُ الْمَصَادِرِ – مُقَارَبَةٌ مَنْهَجِيَّةٌ تَعْلِيمِيَّةٌ

ARABIC LITERATURE IN THE AGE OF GLOBALIZATION: TEXTUAL AND SOURCE STUDIES – A METHODOLOGICAL AND EDUCATIONAL APPROACH

د. أيمن عثمان عبد العليم محمد الشريعي
أستاذ مشارك في الأدب العربي
جامعة بخارى الحكومية – كلية التاريخ والقانون – قسم التاريخ والفلسفة ودراسات المصادر
aymanshoraey@gmail.com

الملخص: يهدف هذا البحث إلى دراسة موقع الأدب العربي في عصر العولمة من خلال محورين متكاملين: **دراسات النصوص الأدبية ودراسات المصادر**، مع التركيز على البعد المنهجي والتعليمي في تدريس الأدب العربي، ولا سيما في البيئات غير العربية. وينطلق البحث من إشكالية مفادها: كيف يمكن الإفادة من المناهج النقدية الحديثة دون الإخلال بخصوصية النص الأدبي العربي ومرجعيته التراثية؟ ويعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، مع الاستناد إلى مراجع نقدية معتمدة في تحليل النصوص ومصادرها.

الكلمات المفتاحية: الأدب العربي، دراسات النصوص، دراسات المصادر، العولمة، تدريس الأدب.

المقدمة:

لم تعد دراسة الأدب العربي في عصر العولمة مقصورة على التناول التاريخي أو الانطباعي، بل اتجهت الدراسات الحديثة إلى الإفادة من مناهج نقدية متعددة تسعى إلى تحليل النص في بنيته الداخلية وربطه بسياقه الثقافي والحضاري. ويؤكد شوقي ضيف أن تطور دراسة الأدب العربي ارتبط بتطور الوعي النقدي والمناهج التحليلية التي تعاملت مع النص بوصفه كيانًا فنيًّا متكاملًا [26]. ومن هذا المنطلق تبرز أهمية الجمع بين دراسات النصوص ودراسات المصادر لتحقيق قراءة علمية متوازنة.

أولًا: الأدب العربي في سياق العولمة:

أفرزت العولمة حالة من التفاعل الثقافي الواسع بين الآداب العالمية، وكان للأدب العربي نصيب من هذا التفاعل من حيث التأثر والتأثير. ويرى عبد الله الغذامي أن العولمة الثقافية تفرض على النقد العربي أن يعيد النظر في أدواته دون التفريط في خصوصيته الثقافية [27]. ويكشف هذا الطرح عن ضرورة التعامل الواعي مع مناهج النقد الوافدة، بما يضمن قراءة النص الأدبي العربي في ضوء مرجعيته الحضارية.

ثانيًا: دراسات النصوص الأدبية – المفهوم والمنهج:

1. مفهوم دراسة النص الأدبي:

تعنى دراسات النصوص بتحليل البنية الفنية للنص الأدبي، من حيث اللغة، والصورة، والإيقاع، والدلالة. ويؤكد محمد عبد المطلب أن قراءة النص الأدبي لا تتحقق إلا من خلال الوقوف على آليات بنائه اللغوي والجمالي، بعيدًا عن الأحكام المسبقة [28].

2. مناهج تحليل النصوص:

تتعدد مناهج تحليل النصوص بين التاريخي والفني والبنيوي والتداولي. ويشير صلاح فضل إلى أن المنهج البنيوي أسهم في نقل النقد العربي من مرحلة الوصف الخارجي إلى تحليل البنية الداخلية للنص [29]. غير أن الإفراط في الاعتماد على منهج واحد قد يؤدي إلى قراءة قاصرة، مما يستدعي اعتماد منهج تكاملي.

3. دراسة النص في السياق التعليمي:

[26] . شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، 1987، ص 15–18.

[27] . عبد الله الغذامي: النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ص 22–25.

[28] . محمد عبد المطلب: قراءة النص الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2004، ص 9–12.

[29] . صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998، ص 55–60.

في مجال تدريس الأدب العربي، تمثل دراسة النص وسيلة لتنمية الذائقة الأدبية والمهارات اللغوية لدى المتعلمين. ويؤكد أحمد مطلوب أن تحليل النص الأدبي في التعليم ينبغي أن يوازن بين الفهم اللغوي والتذوق الجمالي [30].

ثالثًا: دراسات المصادر الأدبية وأهميتها:

1. مفهوم دراسات المصادر:

يقصد بدراسات المصادر تتبع الجذور الفكرية والثقافية التي استقى منها الأديب مادته الفنية. ويرى شوقي ضيف أن معرفة مصادر النص الأدبي تسهم في الكشف عن عمق التجربة الشعرية والنثرية [31].

2. مصادر الأدب العربي:

تتنوع مصادر الأدب العربي بين القرآن الكريم والحديث الشريف والتراث الشعري والنقدي. ويشير الغذامي إلى أن التناص مع هذه المصادر يمثل أحد مظاهر حيوية النص الأدبي العربي[32].

3. البعد التعليمي لدراسات المصادر:

تساعد دراسة المصادر الأدبية الطلاب على فهم العلاقات النصية والتاريخية، وتنمية التفكير النقدي القائم على التحليل والمقارنة، وهو ما يؤكد عليه محمد عبد المطلب في دراساته حول قراءة النص[33].

رابعًا: التكامل بين دراسات النصوص ودراسات المصادر:

يؤدي الفصل بين النص ومصادره إلى قراءة مبتورة، بينما يسهم التكامل بينهما في تحقيق فهم شامل للنص الأدبي. ويؤكد صلاح فضل أن الجمع بين التحليل النصي والمرجعي يمثل أحد أهم اتجاهات النقد العربي المعاصر[34].

خامسًا: نماذج تطبيقية:

1- النموذج الأول:

يقول المتنبي:

وَما الـدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُوَاةِ قَصَائِدِي
إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا [35]

يُبْرِز هذا النصُّ الشعري وعْيَ الشاعر بذاته الشعرية وبقيمة الكلمة في تشكيل الوجود والذاكرة. فعلى المستوى النصي، يقوم البيت على أسلوب القصر باستخدام أداة "إلّا"، بما يعمّق دلالة التفرد ويكثّف حضور الأنا الشعرية. كما تسهم البنية الإيقاعية للبحر الكامل في إضفاء نغمة فخمة تتلاءم مع مضمون الفخر.

أما على مستوى **دراسات المصادر**، فيتصل هذا النص بتقليد الفخر في الشعر العربي القديم، وبالمرجعية الثقافية التي تُعلي من شأن الشاعر بوصفه حافظًا للزمان وصانعًا للمعنى. ويكشف الجمع بين التحليل النصي ودراسة المصدر التراثي عن عمق التجربة الشعرية عند المتنبي، ويؤكد أهمية التكامل بين المنهجين في فهم النص الأدبي فهمًا علميًا.[36]

1- النموذج الثاني:

يقول أبو تمام :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ
فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ [37]

---

[30] أحمد مطلوب: البلاغة العربية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1991، ص 201–205.

[31] شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، مرجع سابق، ص 73–75.

[32] عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، مرجع سابق، ص 88–90.

[33] محمد عبد المطلب: قراءة النص الأدبي، مرجع سابق، ص 41–43.

[34] صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، مرجع سابق، ص 112–115.

[35] المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين: ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق عبد الوهاب عزام، ط1، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (د.ت)، ص 361.

[36] انظر: "المتنبي في عيون المحدثين" في كتابي: دراسات في الأدب والنقد، ط1، الوراق للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2024م، ص 75- 134.

[37] أبي تمام، حبيب بن أوس الطائي، ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزّام، ط5، دار المعارف، القاهرة، ج1، ص 40.

ويُبْرِز هذا البيت نزوع الشعر العباسي إلى تكثيف المعنى والاعتماد على المفارقة البلاغية، حيث يتقدّم الفعل والواقع على القول والكتابة. ويكشف وضعه إلى جانب نص المتنبي عن اختلاف زاوية النظر إلى دور الشاعر: فبينما يُعلي المتنبي من سلطة الكلمة الشعرية، يربط أبو تمام القيمة بالفعل والحدث، وهو ما يثري المقارنة النصية والمصدرية معًا.

2- النموذج الثالث:

فإذا ذهبنا إلى نموذج من العصر الأموي مثلا، كقول جرير مادحًا عبد الملك بن مروان:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا
وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ [38]

نجد أن هذا البيت يمثل نموذجًا واضحًا للشعر السياسي في العصر الأموي، حيث تتجلى وظيفة الشعر بوصفه أداة للدعاية السياسية وترسيخ الشرعية، وهي سمة بارزة في عصر عبد الملك بن مروان [39].

وبوضع هذا النموذج إلى جانب نصي المتنبي وأبي تمام يمكن أن يتضحَ تطور وظيفة الشعر العربي من خدمة السلطة السياسية، إلى التعبير عن الذات الشعرية، ثم إلى بناء المفارقة الفكرية والبلاغية.

وهذه الأمثلة التطبيقية تُبرَزُ إمكانيَّة وأهمية توظيف الشعر العربي في التدريس الجامعي بوصفه مادة غنية للتحليل النصي والمصدري معًا؛ إذ يمكن للمدرس أن يقارن بين النصوص في ضوء البنية الفنية، والمرجعية الثقافية، ووظيفة الشعر، بما ينمّي لدى الطلاب مهارات التحليل والمقارنة، ويعزز وعيهم بتاريخ الأدب العربي وتطوره.

الخاتمة:

وفي النهاية .. خَلُصَ البحثُ إلى أن تدريس الأدب العربي في عصر العولمة يقتضي اعتماد مقاربة منهجية تكاملية تجمع بين تحليل النصوص ودراسة مصادرها، بما يحقق التوازن بين الأصالة والمعاصرة. وأكَّدَ على أن الإفادة من المناهج الحديثة لا تتعارض مع خصوصية الأدب العربي، بل تسهم في تجديد دراسته وتدريسه في البيئات الأكاديمية المختلفة.

قائمة المراجع:

1. أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، **ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي**، تحقيق محمد عبده عزّام، ط 5 ، دار المعارف، القاهرة.
2. د. أحمد مطلوب: **البلاغة العربية**، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1991.
3. د. أيمن عثمان الشريعي: **دراسات في الأدب والنقد**، ط1، الوراق للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2024.
4. جرير بن عطية الخطفي: **ديوان جرير** ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1986.
5. د. شوقي ضيف: **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، دار المعارف، القاهرة، 1987.
6. د. صلاح فضل: **مناهج النقد المعاصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998.
7. د. عبد الله الغِذامي: **النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية**، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000.
8. المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين: ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق عبد الوهاب عزام، ط1، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ،(د.ت).
9. د. محمد عبد المطلب: **قراءة النص الأدبي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2004.

[38] . . جرير بن عطية الخطفي: ديوان جرير ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1986، ص 77

[39] "الشعر واتجاهاته في مجلس عبد الملك بن مروان" في كتابي: دراسات في الأدب والنقد، ص 13-74. :انظر .